من معالم شارع الرشيد التأريخية
جامع الحيدر خانة
وأثرهُ في الحركة الوطنية العراقية

أ.م.د. كمال رشيد خماس العكيلي*

•المقدمة:

كانت للدولة العثمانية دوراً كبيراً ومهماً للإهتمام بالحركة العمرانية الواسعة التي تجلت في بناء المساجد والجوامع والمجمعات الدينية والثقافية ومن الجوامع التاريخية والمؤثرة في الأحداث السياسية ودعم الحركة الوطنية هو جامع الحيدر خانة نستطيع أن نطلق عليهِ تسمية بالجامع «الثائر» في تلك الفترة .

لذا يُعد جامع الحيدر خانة واحداً من الجوامع البغدادية المهمة والجميلة، يحمل في طياتهِ حكايات متنوعة وما فيها من إزدهار وإنحطاط والذي يقع في أكبر شوارع مدينة بغداد وأشهرها وهو شارع الرشيد.

يقع في المحلة البغدادية التي تحمل أسم الجامع نفسه، وعندما نغور في أعماق التاريخ العمراني لمدينة بغداد نكتشف إن لهذهِ المحلة خلفية تاريخية سابقة، ولكنهُ كان يحمل إسماً آخر. وقد مرت على هذه المنطقة العمرانية أدوار تاريخية وتطورات متتابعة حتى وقتنا الحاضر، على حسب إشارة الأستاذ الدكتور المحقق عماد عبد السلام رؤوف.

لذا كان أهل بغداد يبادرون إلى تأسيس المساجد والجوامع ومايلحق بها من كتاتيب ومدارس ومن تلك الجوامع جامع الحيدر خانة.

ولبغداد الدور المميز والقيادي للأحداث كلها، وإنها مدينة عريقة لها تاريخها وأمجادها وإظهار دورها ضرورة قصوى في الريادة. وإن مدينة بغداد كانت قد تزعمت الثورة بادىء الأمر وقادت الشعب نحوها.

* جامعة بغداد/مركز إحياء التراث العلمي العربي

أولاً: لمحة تاريخية عن تأسيس جامع الحيدر خانة

يُعد جامع الحيدر خانة من جوامع بغداد المشهورة وأحدى معالمها الحضارية البارزة ويقع عند سوق قديم يُعرف بسوق الحيدر خانة، وقد أزيل السوق عند فتح «خليل باشا جادة سي» أيّ شارع الرشيد في عام ١٩١٦، وتعرف المحلة التي يقع الجامع فيها بمحلة الحيدر خانة، وقد سمي بهذا الأسم نسبةً إلى أحد تجار بغداد الكبار حيدر جلبي الشاهبندر الذي كان معاصراً لوالي بغداد محمد باشا الخاصكي «١٠٦٧ـ ١٠٦٩هـ» «١٦٥٦ـ ١٦٥٨» الذي كان يسكن هذهِ المنطقة التي شُيد فيها الجامع والذي أمر بتأسيسهِ وبنائهِ الوالي المملوكي المشهور داود باشا الذي حكم من عام ١٨١٧ـ ١٨٢٦م[١]. بينما وردت آراء عدة حول تاريخ بناء هذا الجامع فيقول أبن الجوزي « ...مسجداً أنشأهُ الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٣هـ وعُرف بمسجد درب الخبازين، ووصف بأنهُ قريب من عقد الحديد في سوق الثلاثاء، وسوق الثلاثاء هي المنطقة الممتدة من الميدان إلى ساحة جامع مرجان، ودرب الخبازين هو محلة العاقولية»[٢] وهي محلة واسعة تتفرع إلى دروب لكل منها أسم خاص بهِ، وكل درب أصبح يسمى في العهود المتأخرة محلة قائمة بذاتها . أما المحلة نفسها كانت معروفة بالحيدر خانة في القرن العاشر الهجري «١٦م» مادل على وجودها قبل ذلك التأريخ بمدة طويلة غير محددة[٣].

ويبدو إن تسمية جامع الحيدر خانة حديثة العهد حيث يعود إلى الماضي القريب، وتُشير بعض المصادر التاريخية إلى قدم وعراقة هذا الجامع. يظهر ذلك في عند أبن الساعي بقولهِ «إن بنفشا بنت عبد الله الرومية كانت مولاة الخليفة العباسي المستضيء بأمرا الله[٤]، ومن خواصهِ وسراريه ولها عندهُ مكانة رفيعة والمنزلة العالية والحكم النافذ ولها الأمر والنهي وكانت مؤمنة صالحة كثيرة الخير والبر . جعلت بناء دارها في أسفل بغداد مدرسة على الشاطىء الموشح بالخضرة لنهر دجلة، ووقفها على الحنابلة لما كان لدورهم الكبير في الحفاظ على الشّرع والريعة ووقفت عليها وقوفاً، وبنت قنطرة على نهر عيسى وعقدت جسراً على دجلة وبنى لها الخليفة المستضيء بأمر الله داراً مجاورة لباب الغربة. يعني «الباب المستنصر الحالي من الشمال». فجاءت عالية البناء واسعة الفناء تشمل على مقاصير وحجرات عظيمة ومناظر واسعة ومتنزهات غاية في الجمال ويجاور هذهِ الدار أربعة دواليب كبيرة تسقي الماء من دجلة إلى دار الخلافة المعظمة . ثُم تُكامل الرومية وتمت عمارتها سنة ٥٦٩هـ وبنت مسجداً كبيراً بسوق الخبازين قريباً من العقد الجديد في يوم الأثنين غرة شهر شعبان سنة ٥٧٣ه»[٥].

ويؤكد العلامة محمود شكري الآلوسي «إن داود باشا حينما عمرهُ كان كما قصد من تقطيعهِ وتوسيعه وإقامة الجدران على ترابيعهِ، يدل على إنهُ لم يختط الجامع ولم يؤسسهُ، وإنما أعاد بنائهُ على نحو جديد لم يعد يذكر بهيئتهِ السابقة، ومن المؤكد إن

مسجداً قديماً كان يحتل جزء من أرضهِ، قبل أن يوسع داود هذهِ الأرض بما أضافه إليها من دور مجاورة إشتراها من أصحابها . ثم إنهُ شرع ببناء الجامع الجديد»[٦].

وهناك رأيُ آخر يُبين بأن جامع الحيدر خانة أسم تكية قديمة لايعرف تأريخها، منسوبة إلى من يُعرف بأسم حيدر لا غير . وكان موقع هذهِ التكية في مدخل سوق الحيدر خانة القديم على يمين شارع الرشيد بأتجاه العاقولية إلى الميدان. وأشير إليها في وقفية متأخرة تأريخها سنة ١٨٩٠ بوصفها تحد داراً في محلة الحيدر خانة [٧].

ويُصحح المحقق الدكتور عماد عبد السلام بقولهِ «الصحيح إن داود باشا نقض مسجداً كان موجوداً قبلهُ، وأنشأ في أرضهِ هذا الجامع» أي جامع الحيدر خانة «فقد إكُتشفت في أثناء تعمير قامت بهِ الأوقاف سنة ١٩٦٦ قطعة من الرخام فيها أبيات شعرية تُشير إلى من إسمهُ «حسن» بنى مسجداً سنة ١٢٠٧هـ - ١٧٩٢م»[٨].

وقد بنى الوالي المملوكي داود باشا الجامع عام ١٨٢٩م بعد أن أغدق على البناة والعمال أموالاً وفيرة، وهيأ لهم ماشأووا من مواد ووسائل العمارة . ثُم أنشأ للجامع سقاية مباشرة ذات شباك يطل على سوق الحيدر خانة يرتوي منها العطاشى[٩].

ويُعد هذا الجامع الذي إختطهُ والي بغداد داود باشا وشادهُ كما أراد من إتقان عمل، وإحكام بناء وَضعهُ، وحُسن تقطيع وسعة، وقد إختطهُ مربعاً، وأقام جدرانهِ على ما إختط، وأفرغ ما كنز من الذهب الوهاج على صُناعهِ وعمالهِ، ونصب مشرفاً عليهم أحد ثُقاتهِ وهو أحمد أفندي المعروف «بأبن النائب». فجعل هذا يطوف عليهم بين أونة وآخرى .وكان مخلص في عملهِ وجاد في إتقانهِ . وقد نقل الوالي أعمدة وأساطين من الموصل وغيرها، وأحضر لأجل فرش ساحتهِ مرمراً قد قُطع مربعاً، ولما تم بنائهُ وكمل إنشائهُ خرج مربع البناء، متناسب الأضلاع، متقاطع الزوايا والأرجاء، معقودة في قبتهِ البديعة عند منتهى البصر طاقات تفيض النور على ماتحتها، متقاطعة تقاطع الدوائر على النقطعة المركزية[١٠].

ويُعد هذا الجامع من أتقن جوامع بغداد القديمة، وهو مربع البناء متناسب الزوايا والأرجاء وإزارهُ من الرخام[١١]، وجعل الوالي لهُ ثلاثة أبواب فخمة ومُهيبة، أثنين منها على الشارع العام إلى جانبي المُصلى عن يمينهِ وشمالهِ، وواحد في الدرب النافذ إلى جامع حسين باشا . وقد جعل مراحيضيهِ داراً على حدة، يسلك إليها من باب في جدارهِ الشمالي[١٢]. ومصلاة للشتاء يعلو ذراعين عن الأرض وتعلوه قبة شامخة بالكاشي الملون، مع قبتان صغيرتان ومنارة عالية فضلاً عن المصلى الصيفي فأن ظلهِ وقاية للمصليين من الشمس، وفي سعتهِ مهب الريح والنسائم، وكذلك هناك حجرات لائقة بسكنى القائمين بأمرهِ وشؤونهِ للمؤذن وطلاب العلم[١٣] وبنى أيضاً فيه مدرسة يدخل إليها من الباب الواقع على يسار المصلى الشتائي، وهي عبارة عن حجر في الطبقة السفلى، وحجرة مطلة على صحن الجامع فوق الباب المذكور

يجلس فيه المدرس[١٤].

ويُذكر الباحث حسين التميمي ما خُط على الأبواب الثلاثة للجامع فقد ذُكر على رأس الباب الغربي أبيات من الشعر تذكر الوالي داود باشا منها[١٥]:

ذا من بيوت الله قد رُفعت
للذاكرين بتسبيحٍ وتحميدِ
على تُقى الله بالإخلاص أسسهُ
ذو العلم والإنصافِ والجودِ
داود من قد حكى فينا خلافتهُ
نص الكتاب بلا شكٍ وترديدِ

وعلى الباب الجنوبي ذكرت بعض الأبيات منها[١٦]:

إذا إفتخر الباني بتشييد مابنى
فداود أولى أن يكون لهُ الفخر

وأيضاً كتب على الباب الوسطاني «أنشأ وعُمر هذا الجامع الشريف في أيام الخليفة الرحمن السلطان محمد خان أبن السلطان عبد الحميد خان دام ملكه[١٧].

في حين ورد في التقرير الفني الذي رفعتهُ مديرية الآثار العامة إلى رئاسة ديوان الأوقاف في عام ١٩٦٧ ينص «على إن للجامع أربعة أبواب في الأصل، موزعة على جوانب سورهِ الأربعة ولم يبق من هذهِ الأبواب إلاّ ثلاثة، إثنان منها على شارع الرشيد والثالث على الزقاق الشمالي الشرقي المؤدي إلى محلة الحيدر خانة، وعلى أية حال فقد أغلقت الأوقاف الباب الذي يقع على يمين المصلى، كما أغلقت الباب الخلفي الذي ينفذ إلى هذا الدرب، فلم يبق إلا الباب الذي عن شمال المصلى»[١٨].

ويشير الرحالة الإنكليزي «فيلكس جونز» سنة ١٨٤٦م، عن المحلة التي أنشأ فيها الجامع بقولهِ «إن فيها خمسة عقود أيّ دروب، منها عقد الخشالات، وخمسة مقاهي، وجامع الحيدر خانة الذي يُعد من أبرز معالم المحلة وأفخمها في العصر العثماني»[١٩].

وقد كان الشارع العام الذي سُمي فيما بعد بشارع الرشيد، وكان يشغلهُ في العصر العثماني سوق معقود طويل عُرف بسوق الحيدر خانة، وبعد ما نقض هذا السوق عند فتح الشارع العام في أثناء الحرب العالمية الأولى ظل الكتف الشرقي للسوق، وهو الذي يضم الدكاكين الصغيرة الواقعة في جدار جامع الحيدر خانة قائماً، حتى أُغلقت بالآجر في أثناء تعمير الأوقاف للجامع سنة ١٩٦٨، ووضع محلها جدار مزخرف بالآجر مثل واجهة المصلى الصيفي[٢٠].

ويظهر إن تخطيط جامع الحيدر خانة كان على طراز تخطيط جامع مجاهد الدين في الموصل، وجامع المرادية في بغداد من حيث الأساس فبيت الصلاة يشغل القسم الجنوبي الغربي من المسجد ويتألف من بيت صلاة شتوي وآخر صيفي[٢١].

ثانياً: وصف محتويات الجامع

شهدَ عهد والي بغداد داود باشا تطوراً هائلاً وإزدهرت البلاد في أيامهِ وعمّ الأمن والرخاء وإتسعت حركة العمران والزراعة، ثم إعتنى داود باشا بعمارة بغداد وأخذ يُعمر المساجد والجوامع ومن أشهر مابناهُ الجامع المعروف «بالمولى خانة» وكان لهُ مئاذنتان، و «جامع الحيدر خانة»، و «جامع الباب المعظم المسمى بجامع الأزبك»[٢٢].

كان الوالي المملوكي داود باشا مخلصاً للدين فأكثر من بناء المساجد ففي سنة ١٢٣٤هـ ـ ١٨١٨م عمّر الـــوالي جامع الحيدر خانة وهو مـــن أفخم الجوامع العراقيـــة كانت أرضيتهُ وإزارهُ مـــن الرخام، وكانت لـــهُ ثلاثة أبواب كبيرة وبُنيت فيهِ مدرسة زودت بقدر كبير من الكتب ونقش عليه بيت من الشعر يُعين تاريخ بنائهِ على طريقة الجمل[٢٣]:

فُقل لدى الصنع يامؤرخهِ

كذا بدا جامعاً من صنع داود

وشغل الجامع مساحة تُقدر بـ «٣٣٤٤م» من الأرض مســـتطيلة الشكل، فشُيد الجامع بطابـــوق وجـــص ويتصف بنائـــهُ بمتانة وضخامة ظاهرة . ويزيد ســـمك جدران بيت الصلاة على المتريـــن وقد بُنيت بهذهِ الصورة لتتحمل ثقل القبة الضخمة التي تُغطي بلاط المحراب وتفصل بين أســـاكيب المصلى وتبلغ مســـاحتهُ «٢٤٠م» . وهذهِ القبة كانت من أكبر قباب مســـاجد العراق السابقة وأجملها من حيث الشـــكل والتحليات الزخرفية التي تُزينها من الخارج والداخـــل. وهي بصلية الشكل وقد كُســـيت من الخارج بغطاء مع قراميد قاشـــانية ذات زخـــارف تتألف من فـــروع نباتية تلتف وتلتـــوي لتُغطي كامل القبة وبلون أزرق نيلي، وأصفر برتقالي على أرضية بلون أزرق مخـــضر[٢٤] وقد أقيمت فيهِ أربع دعائم ضخمة متناظرة ومتســـاوية بالقياس، وظيفة هـــذهِ الأعمدة لحمل القبة العظيمة للجامع، وتقســـم الحرم إلى ثلاثة أجزاء عمودية على جدار القبلة، وكان إرتفاع هذهِ الدعامات «٤أمتار»[٢٥].

ومأذنة جامع الحيدر خانة تشبه مأذنة جامع المرادية من حيث شكلها وموقعها وعناصرها المعمارية ولكنها تختلف عنها في كســـوتها الزخرفية فهي تحتل الركن الشمالي الشرقي من بيت الصلاة وتظهـــر وكأنها جزء منهُ . وهذهِ المأذنة رشيقة الشـــكل يبلغ إرتفاعها «٢٠ متر» وقطرهـــا « ١,٩٠» متر ويجلس بدنها الإسطواني الشـــكل على قاعدة مربعة ترتفع «٨ متر» عن مســـتوى سطح الأرض وتندمج في ركن المصلى ويكســـوها الزخرفة الفريدة[٢٦]. وتقع هـــذهِ المأذنة العالية ذات طراز بغدادي على يمين القباب الثلاث المُغلفة بالحجر القاشاني الملون .

ويحـــوي الجامع على فناء واســـع يحيط بهِ مجنبـــات من جهتـــهِ الغربية والشـــمالية، إحتوت على مجموعة مـــن الغرف والقاعات ودورات المياه وعددها «ثماني عشر» ســـتة منها على جهة الغرب تقابلها ســـتة على جهة الشرق، وستة من جهة القبلة. ومحل للوضوء وفي أرضيـــة هـــذهِ المباني ســـابقاً، وكذلك جُعلت مســـاكن ومحلات للتجارة للقســـم الآخر خصصـــت للقائمين على خدمة الجامع والمصلين[٢٧].

وللجامع باب آخر أُقيـــم في الجانب الشرقي بُني على غـــرار الباب الرئيسي في الوســـط وكُســـيت الواجهة العليا منهُ ببلاطات خزفية ملونة تجملهـــا زخارف نباتية وكتابية لآيات من القـــرآن الكريم وهندســـية . وباب آخر من جهتهِ الغربيـــة نُقش على جدارهِ العلوي زخرفة كتابية بالخط الكوفي[٢٨].

أما بالنســـبة للسور الذي ســـور به الجامع

يتصف بجدار سميك مرتفع نسبياً ويمكن الدخول إلى الجامع عن طريق ثلاثة مداخل بهيئة أواوين أو مجازات تتصف بتركيبها المعماري المتشابه[٢٩]. وقد بُينت كتابات منقوشة على جدران الجامع مُسجلة تاريخ إنتهاء البناء منهُ سنة ١٢٤٢هـ ـ ١٨٢٧م[٣٠].

ـ ولعل أبرز مافي جامع الحيدر خانة هو وجود مكتبة عامة ـ دار الكتب العمومية التي أنشأت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٠١ه ـ ١٨٨٣م وهي أول مكتبة عامة تنشأ في بغداد في القرن الرابع عشر الهجري وكانت تضم «٢٥٠» مجلداً ونصب لها حافظان للكتب [٣١]، وكتبت أبيات شعرية بحق هذهِ المكتبة من قبل الحاج علي علاء الدين الآلوسي قصيدة فيها[٣٢]:

ياحبذا مكتبة قد جمعت
العلم فيها كتب لطائفُ
يعمُ أرباب العلوم نفعها
فكل طالب عليها عاكفُ
كأنها للطالبين موردُ
فكل راوٍ من نداها غارفُ

وكذلك في زمن الوالي العثماني «جمال باشا» هناك غرفة مخصصة كمكتبة تحوي أنفس الكتب، ولها محافظ يقوم بمحافظتها، ولما جُمعت الكتب الموجودة في المكتبات في مكتبة عامة واحدة نُقلت منها وتُلف بعضها وحفظ الباقي منها في جامع مرجان[٣٣].

ـ إهتم الوالي المملوكي داود باشا بالمدارس الدينية فقد أنشأ «المدرسة الداودية» بعد إنتهائهِ من تعمير وبناء جامع الحيدر خانة سنة ١٢٤٢هـ ـ ١٨٢٧م، إهتمت هذهِ المدرسة بتدريس العلوم العقلية والنقلية وكانت حافلة بطلاب العلم والأدباء والفضلاء من أهل بغداد[٣٤].

يصف محمود شكري الآلوسي المدرسة الداودية بقولهِ « ... وقد بنى فيه مدرسة تشتمل بيوتها من بساط الأرض إلى مناط السقوف على كتب كثيرة من تصانيف أعلام الأمة بخطوط كفرائد سموط مصححة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد ينتابها علماء دار السلام ...» [٣٥].

وكان للمدرسة العديد من الغرف والمرافق الملاصقة للجامع لإيواء طلاب العلم، فضلاً عن وجود مكتبة حوت مجموعات قيمة من كتب أعلام الأمة ومشايخها، مثل السيد محمود شكري الآلوسي صاحب المؤلفات القيمة، وفيها نوادر الآثار وفرائد الأسفار وقد تسربت بعض المخطوطات من هذهِ الخزانة إلى خزائن آخرى ومنها نفيسة جداً وكاملة مثل كتاب «سر الصناعة» لأبن جني والتي وجدت في خزانة المرحوم العلامة و المحدث عبد الكريم الشيخلي والتي نُقلت بعدها إلى خزانة جامع الدهان في منطقة الأعظمية ببغداد، والقسم الآخر من مكتبة المدرسة نُقلت إلى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد التي نهبت وأُحرقت في حرب سنة ٢٠٠٣[٣٦].

وفضلاً عن ذلك بروز عدد من العلماء ممن درس في هذهِ المدرسة أبرزهم:

العلامة الشيخ سعيد أفندي بن الشيخ أحمد بن عبدالله السويدي ولد سنة ١٧٦٦م أخذ العلم عن عمهِ الشيخ عبد الرحمن وعن والدهِ الشيخ أحمد . وهو أول مدرس في هذهِ المدرسة ومن مؤلفاتهِ في علم التصوف

«إيصال الطالب للمطلوب» ولهُ شعر حسن توفى سنة «١٨٣٠م»وأعقبهُ ولديهِ نعمان وأحمد ودفن بجوار الشيخ معروف الكرخي رحمه الله[٣٧].

وكذلك العلامة أبو الهدى الشيخ عيسى صفاء أفندي البندينجي، كان عالماً فاضلاً متفرداً في الذكاء وسلك في الطريقة النقشبندية والقادرية ودرّس في المدرسة الداودية زمناً طويلاً، ومنح رتبة «رئيس المدرسين» وتخّرج على يدهِ خلقٌ كثير منهم، عبد الرحمن بن علي الكيلاني النقيب «نقيب الأشراف القادرية»، والعلامة نعمان خير الدين بن محمود الآلوسي، والشيخ عبد السلام الشواف، والشيخ حبيب الكردي، والشيخ قاسم الغواص بن محمد بن بكر الطائي، والشيخ عبد اللطيف الراوي، والشيخ عبد القادر الشهرباني، وأخيراً العلامة عبد الوهاب النائب، وأمثالهم من الطبقة العالية من العلماء، وأصبحت لهُ صلة وثيقة وصداقة مع علماء بغداد ورجالها كمحمود بن زكريا الكيلاني القادري ومتولي الأوقاف القادرية، وقد كلفهُ بترجمة كتاب «جامع الأنوار» فترجمهُ وأضاف إليهِ شروح وزيادات مهمة. ولد في سنة ١٧٨٨م، وتوفى سنة ١٨٦٦م، ولهُ من العمر ثمانين عام، ودفن في التكية القادرية البندينجية ببغداد[٣٨].

ومن أبرز علمائها أيضاً عبد الرحمن بن علي بن سلمان القادري الكيلاني، من رجال السياسة والحكم، ولد ببغداد سنة ١٨٤٥م وولي نقابة الأشراف، وتوفى ببغداد سنة ١٩٢٧م[٣٩].

وكذلك الشيخ قاسم بن الملا محمد بن بكر بن علي بن مصطفى بن محمد الطائي البغدادي، ولد سنة ١٨٢٩م في بغداد، ولازم العلامة الشيخ عيسى البندنيجي حتى أُجيز عنهُ، ولهُ باع طويل في علوم المنطق والحكمة والجدل والبحث والمناظرة والنحو والصرف في اللغة العربية، وكان لهُ مجلس عامر حافل في مدينة بغداد في محلة بني سعيد حضرهُ علماء عصرهِ من الأدباء والتجار[٤٠].

وهناك العلامة الشيخ محسن الطائي والد الشيخ كمال الدين الطائي، من أشهر المدرسين وعلاوةً على ذلك تخرج نخبة ممتازة من العلماء والخطباء والشعراء والأدباء منهم الشاعر معروف الرصافي[٤١].

أما العلامة محمد بهجت الآثري وهو أحد تلاميذ علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي حيثُ لازمهُ أربع سنوات حتى وفاتهِ سنة ١٩٢٤م، ولقبهُ العلامة الآلوسي بالآثري لشدة ولعهِ بالآثر «الحديث النبوي الشريف»[٤٢].

ـ أما بالنسبة للخطباء والقراء الذين توالوا في جامع الحيدر خانة بعد إكمال الوالي داود باشا بنائهِ فنصب الشيخ العلامة عبد الفتاح الواعظ خطيباً لهُ، وكذلك الحاج عيسى روحي مدير معارف بغداد في العهد العثماني المتوفي سنة ١٩١٨م، كان حسن الصوت والأداء. وهنالك محمد رشيد آل الشيخ داود المتوفي سنة ١٩٣٩م، وكذلك السيد أحمد بن عبد الفتاح وهو والد الأديب المعروف محمود أحمد السيد، عُين إماماً وخطيباً ومدرساً في جامع الحيدر خانة سنة ١٩٣٩م وأستمر في

وظائفهِ حتى عام ١٩٤٨م[٤٣].

وهنالك الشيخ عائش الكبيسي إمام وخطيب جامع الحيدر خانة سنة ١٩٦٤م فقد سجل في تاريخ الجامع موقفاً شجاعاً حين ندد بتقاعس الحكام العرب عن نصرة إخوانهم في «زنجبار» حين تعرضوا للحرق والسحل من دون نصير، وكان رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف حاضراً ومستمعاً للخطبة وقد شكرهُ على خطبتهِ وأبدى لهُ كل الأحترام[٤٤].

ثالثاً: التعميرات التي أجريت على الجامع

يُعد جامع الحيدر خانة أوسع جوامع مدينة بغداد الآثرية، فهو يشغل قطعة أرض شبه منحرفة، فقد أجريت على الجامع تعميرات عدة ففي سنة ١٣١١هـ ـ ١٨٩٢م في العهد الوالي الحاج «حسن رفيق باشا» وأستمرت أعمال الصيانة والترميم في السنوات اللاحقة كلما إقتضى الحال[٤٥].

وفي سنة ١٨٩٣م في عهد السلطان عبدالحميد الثاني جُددت عمارة الجامع وأرخ ذلك بعضهم بهذين البيتين:[٤٦]

قرة عيون المؤمنين بقبلة
سطعت أهله رشدنا بُهداها
فلفضلها نادى الآله حبيبهُ
لنولينك قبلةً ترضاها

ففي سنة ١٩٠٢م كُتب على الباب الأوسط من أبواب المصلى «أنشأ وعمّر هذا الجامع الشريف في أيام خليفة الرحمن السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان دام ملكه». كما جُددت دائرة الأوقاف العامة تعمير الجامع سنة ١٩١٢م حيثُ جرى بأشراف لجنة رأسها العلامة محمود شكري الآلوسي . وكذلك أجريت تعميرات على جامع الحيدر خانة من قبل مديرية الأوقاف في سنة ١٩٢٠م وتناول إعادة بناء المنارة على الأسس القديمة للمنارة التي شيدها الوالي داود باشا للجامع[٤٧].

ويظهر إن جامع الحيدر خانة قد أُجريت عليه تعميرات في فترات زمنية عدة ففي سبعينيات القرن العشرين عُمرت أعمدة الجامع بعدما كانت من الطوب المفخور والتي بدأت تتهاوى بفعل آثار الأنسان والتقلبات المناخية، لتُقسم الحرم إلى ثلاثة أجزاء عمودية على جدار القبلة . وفي سنة ١٩٧٢م قامت وزارة الأوقاف بتجديد القبة والواجهة الأمامية للجامع .وفي أثناء التعمير عُثر على حجر كُتب عليه بأن شخصاً يُدعى «حسن» جدد بناء هذا الجامع سنة (١٢٠٧هـ) [٤٨].

رابعاً: نشاطات جامع الحيدر خانة

برزت أهمية للجامع من الناحية التأريخية، والدينية، والأجتماعية، والثقافية، وإنهُ كان مركزاً لإقامة الإحتفالات الدينية والمهرجانات السياسية.لذا سوف نتطرق للنشاطات التي كانت تُمارس في هذا الجامع وهي:

•النشاط الديني:

إعتاد البغداديون بأحياء مراسيم المولد النبوي الشريف للرسول «محمد صلى الله عليه وسلم» الذي يسمى في مدينة بغداد «بالمولود» في الجامع، لاسيما كان في جامع الحيدر خانة يتم إقامة الحفلات تُتلى فيها تلاوة منقبة المولد، ولاتخلو هذهِ الحفلات من ضروب الفرح والأبتهاج والقارىء يتلو المنقبة النبوية المباركة على مسامع الناس [٤٩]. وكذلك إقامة الخطب

بعد ذكر مقتل الإمام الحسين «عليه السلام» وتستثار حمية البغداديين ووطنيتهم[٥٠].
فضلاً عن إقامة دورات تعليم القرآن الكريم في هذا الجامع المذكور، لـــلاولاد الذين تبلغ أعمارهـــم الرابعـــة والتي يتـــم فيها تعليم مبادىء القـــراءة ثم التـــدرج بأتقان قراءة القرآن الكريـــم وما أن وصل إلى النصف من القـــرآن الكريم يعملون لـــهُ وليمة، وعندما يختم القـــرآن الكريم تُقام لهُ الوليمة الكبيرة فتعـــم الفرحة عند والديـــن الطالب وذويه، وتبدأ المراسيم بحمل القرآن الكريم على رحلة خاصة من الخشـــب فيخـــرج الطالب ومعهُ الطلاب وذويه من الرجال والنساء تتقدمهم الطبول والموســـيقى ويقطع هـــذا الموكب محلات مجاورة[٥١].
وكذلك ممارســـة قراءة القرآن الكريم فكان القارىء الملا «عثمان الموصلي» هو أحد القراء في جامع الحيدر خانة الذي جمع العلم والفن في القرآءآت حتى بلغ الذروة[٥٢].
وللجامع ممارسات آخرى من قبل أهل بغداد وهو الإعلان عن يوم شـــهر رمضان المبارك الذي يكون عن طريـــق الجوامع، لذا تتلألأ المصابيح التي تزين الجوامع فيتبادل الناس التهاني في الشـــارع والمحلة ويبدأ قسم من الناس بالذهاب إلى الجوامع للأبتهال بقدوم الشـــهر الفضيل وبدء صلاة التراويح لاسيما كان جامع الحيدر خانـــة من جوامع بغداد حيث تُقام فيهِ هذهِ المراسيم[٥٣].
وكان جامع الحيـــدر خانة من جوامع بغداد يُشاهد ويُســـمع الوعظ فيهُ، وكان الواعظ يصدح من أعلى كرسيه بألقاء آية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتفســـير والأستشهاد بالمســـائل الأدبية والتاريخية، ومن وعاظ هذا الجامع هو الواعظ «الشـــيخ عيـــسى البندنيجـــي»، وفضلاً عـــن إقامة الصلوات الخمســـة، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين «عيد الفطر وعيد الأضحى»، وكذلك يرتل خطيب الجمعة خطبتهِ بعد تلاوة القرآن الكريم عـــلى الطريقة البغداديـــة والتمجيد أيضاً[٥٤].

●النشاط الأجتماعي:

يُقام في جامع الحيدر خانة بعض النشاطات الأجتماعية المتمثلة بإقامة العيدين لاســـيما عند إستقبال الناس للعيد من فرحة وسرور، وكذلك إقامة حفلات الختـــان للأطفال التي كانت تجري في جامـــع الحيدر خانة ورعاية اليتامى والمســـاكين وتقديم المعونات المادية لهم ومساعدتهم، وشـــهد أيضاً الجامع بيعة الملك فيصل الأول. ولخطباء الجامع كان لهم دور كبير في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين وإشـــاعة روح التســـامح بين أبناء الوطن بمختلف الأديان والطوائف والقوميات[٥٥].

●النشاط الثقافي:

شهدت بغداد نهوض مجالس العلماء والوجهاء وذي الســـلطات حيث أخذت هـــذهِ المجالس على عاتقها ببث علم العلماء ونوادر الشـــعراء وأخبار السياســـة والدولة والمجتمع . فكانت هذهِ المجالس على أختلاف أنواعها وأشـــكالها مكاناً يجتمـــع فيه كبار العلماء والشـــعراء والأدبـــاء والصحفيـــين ورجال السياســـة وأصحـــاب الأموال ليتذاكـــروا ويتناظروا في مختلف العلوم .لـــذا كان جامع الحيدر خانة

لهُ دور كبير ومؤثر في المجتمع الذي يُحيط بهِ بصورة خاصة والمجتمع البغدادي بصورة عامة بما يلقي فيه من قصائد وخطب من الشعراء والخطباء ورجال الدين ورجال السياسة جعلت منهُ منبراً يثير حماس روادهُ لمقارعة المحتل ونيل الأستقلال[٥٦].

وعلاوةً على ذلك كان لجامع الحيدر خانة مقراً لكتاتيب «الملا» للمحلات المجاورة لهُ والتي يتعلم فيها الصبيان القراءة والكتابة، وتلقي أصول قراءة القرآن الكريم وحفظه فضلاً عن تعلم الحساب والخط[٥٧].

خامساً: جامع الحيدر خانة والحركة الوطنية

كانت الزعامة الدينية في العراق عند بدء الأحتلال البريطاني للسيد محمد كاظم اليزدي وقد توفى في مساء ٣٠/نيسان/١٩١٩م عن عمر تجاوز الثمانين، فاهتم الشيعة بوفاتهِ ورأى السنة أن يُشاطروا أخوانهم في مصابهم، فأقيمت أول حفلة تأبينيه للسيد اليزدي في جامع الحيدر خانة في يوم ٩/ آيار/١٩١٩م فكانت أشبه بمؤتمر توحدت فيهِ كلمة المسلمين في العراق منها بحفلة دينية تُقام لفقيد كبير [٥٨].

أعلنت بريطانيا في ٣/مايس/١٩٢٠ قبولها الأنتداب على العراق، والذي خصها بهِ مؤتمر «سان ريمو» في شهر نيسان ١٩٢٠. وكانت كلمة الأنتداب بنظر أغلب العراقيين إسماً بغيضاً للغاية وأعتبروهُ ستاراً لإستعمار آخر. بالرغم من إن إعلان الإنتداب قد إقترن بشرح مُعد بدقة بأن الهدف النهائي هو تطوير المؤسسات الإستقلالية وكان الغرض من هذا الشرح هو الحد من فعالية الوطنيين العراقيين[٥٩]. لذا إزداد إصرار الوطنيين في مدينة بغداد خاصةً ومدن العراق عامةً على المطالبة لأجل نيل الإستقلال بعد إعلان الحكومة البريطانية بتاريخ ٣/آيار/١٩٢٠ قرارات مؤتمر «سان ريمو» التي قضت بفرض الإنتداب البريطاني على العراق فلم يجد هؤلاء الوطنيون مناصاً دون النزول إلى ساحة العمل الوطني المباشر، فبدأت الإجتماعات العامة تُعقد في جوامع مدينة بغداد، إحياءاً لذكرى المولد النبوي الشريف للرسول محمد صلى الله عليه وسلم أو إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام[٦٠].

وبالتالي أتخذ جامع الحيدر خانة المركز الرئيسي لهذهِ الإجتماعات، وإن أول إجتماع من هذهِ الإجتماعات تم بتاريخ ١١/ آيار/١٩٢٠ وكان إجتماع توجه الدعوة بأسم أهالي محلة من محلات مدينة بغداد، وفيه تُقرأ المنقبة النبوية الشريفة وتُلقى الخطب السياسية تحت شعار جهاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الدعوة الإسلامية وتضحية الإمام الحسين «عليه السلام» في دعوتهِ إلى الحكم الإسلامي الصحيح، وتطورت الخطب إلى خطب سياسية صريحة تُذكر بوعود الحلفاء والمطالبة بحق الشعب العراقي في الإستقلال[٦١]. وفي هذهِ ظهر التعاون بين الطوائف العراقية وخاصةً الشيعة والسنة في أجل مظاهرهِ، ففي ١٩/ مايس/١٩٢٠، المصادف الأول من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٨هـ، ظهر التقارب بصورة واضحة حيثُ أخذت تُعقد ما إصطلح

على تسميتهِ بـ «المولود التعزية» في الجوامع ومنها جامع الحيدر خانة . لكن الطابع البارز على الحفـــلات الدينية في جميع الأوقات إلقاء الخطب السياسية وإنشـــاد الشعر الوطني متلواً في المراسيم الدينية المعتادة[٦٢].

لاســـيما كان الوطنيـــون في مدينـــة بغداد يقومون بأعمـــال مقاومة ســـلمية منظمة تأييداً لتحركات الثورة المســـلحة وقد إبتدأت هذهِ الأعمـــال بالدعوة لحضـــور إحتفالات المولد النبوي الشريف في جامع الحيدر خانة وإستمرت هذهِ الإحتفالات لفترة طويلة، وكان المجتمعون يستمعون فيها بالاضافة إلى قراءة المولـــد النبوي الشريـــف إلى قصائد وخطب سياسية حماســـية[٦٣]. وقامت في الوقت ذاته الأحزاب السياســـية بعقد الإجتماعات العامة في جوامع مدينـــة بغداد الكبيرة كجامع براثا والقبلانية والحيدر خانة والسيد سلطان علي مما كان لهُ أبلغ الآثـــر في تهيئة الرأي العام العراقي لإعلان الثورة الكبرى عام ١٩٢٠[٦٤].

وقد كانـــت الثـــورة بعـــام (١٩٢٠)ضد الإستعمار البريطاني في العراق ثورة وطنية عراقيـــة خالصة ليـــس لأي أجنبي فيها أي آثر أو تأثير، تهيأ لهـــا المخلصون في الوطن جنوبهِ ووســـطهِ وشـــمالهِ، كل جهة ثارت حســـب ظروفها وأوانها. وقـــد أطلق أبناء منطقة «الرميثـــة» شرارتها الأولى يوم ٣٠/ حزيران/ ١٩٢٠ وتنادى للثورة أبناء مناطق العراق كافة[٦٥].

وعليهِ إتفقـــت الجهات الوطنيـــة باحزابها السرية وشخصياتها السياسية والدينية، على أن تبدأ الثورة في مدينة بغداد بمظاهرات تعم الشـــوارع مع إقامة حفلات دينية سياسية . وأن يكون لجامع الحيدر خانة النصيب الأوفر في هذا الأمر والتجمع الجماهيري الوطني[٦٦]. وهو مركـــزاً للوعي في ميزان التحرر الوطني يقصدهُ الناس ولو فصلتهم عنهُ مســـافات ليشـــهدوا زعمائهم السياســـيين وشعرائهم الوطنيين وخطبائهم الثوريين وهم في عنفوان جهادهم ينشدون الشـــعر ويلقون الخطب الحماسية[٦٧].

وإتخذ الملا عثمان الموصلي مسرح عملياتهِ منبر جامع الحيدر خانة وساحتهِ أثناء الإجتماعات الجماهيرية والحضور الشـــعبي. وبمثل هذهِ الخطب الوطنية الدينية إستطاع الملا عثمان الموصلي أن يُزيح الهموم عن الصدور ويُذيب صخور الفرقة الطائفيـــة، وهو يلقي عليهم الدرس تلو الـــدرس في معاني الوطنية وحب الوطن وإرخاص التضحية في ســـبيل عزتهِ وإستقلالهِ عند مناهضة الإستعمار والثورة عليهِ . ومن أشـــد خطبهِ حماساً للناس كانت خطبة الليلة السادسة من شهر رمضان سنة (١٣٣٨هـ)،بتاريخ ٢٤/آيار/ ١٩٢٠التـــي أعقبتها مظاهرة شعبية أثارت حماساً بأهالي مدينة بغـــداد وتردد صداها في أرجاء العراق كافة من منطلقها جامع الحيدر خانة[٦٨]. لذا أصبحت ســـاحة جامع الحيدر خانة مقصداً للتجمـــع الوطني للوقوف ضد الإســـتعمار البريطاني وتأييد ثـــورة ١٩٢٠، وكان الملا عثمان الموصلي من شـــعراء هذه المناســـبة الخالدة [٦٩].

وهكـــذا لعب الملا عثمان الموصلي في ســـاحة جامع الحيدر خانة دوراً فعالاً في تفجير ثورة

عام ١٩٢٠ مع الشخصيات السياسية المدنية والعشائرية والدينية، ومع الصحافة الوطنية ووسائل الإعلام المعروفة آنذاك[٧٠].

وكذلك في الليلة ذاتها وهي ليلة السادسة من شـــهر رمضان ١٣٣٨هـ/بتاريخ مساء يوم ٢٤/آيار/١٩٢٠ عُقد إجتماعٌ كبير في جامع الحيدر خانة ببغداد وشارك في هذا الإجتماع رجـــال الدين والمثقفـــون والتجار والصناع وأُلقيت فيهِ خطب متعـــددة وقُبل الخطباء بالتأييد من قبل الجماهير المحتشدة وتقرر في الإجتماع الإستمرار في النضال من أجل تحرير البلاد[٧١]. وقد ألقـــى في الإجتماع المذكور في جامع الحيدر خانة «توفيق المختار» قصيدة لســـماحة العلامة الســـيد «حبيب العبيدي» مفتي مدينة الموصل أحدثت دوياً في الأوساط وهزت النفوس، وهي قصيدة طويلة وخالدة منها هذهِ الأبيات[٧٢]:

قسما بالقرآن والأنجيل
ليس نرضى وصاية لقبيل
أو تسيل الدماء مثل السيول
أفبعد الوصي زوج البتول
نحن نرضى بالأجنبي وصياً

كما أُلقيـــت في هذا الإجتمـــاع أيضاً قصيدة حماســـية من قبل الأديب «عيسى عبد القادر الريزلي» أحـــد موظفي دائرة الأوقاف قصيدة ثورية ملتهبة مستهلها[٧٣]:

بني النهرين نسل الطيبينا
أفيقوا وأسمعوا حقاً يقينا
تفرقنا شعباً وأفترقنا
فاصبحنا جميعاً صاغرينا
وأسلمنا بأجمعنا لقوم
بُغاة من طُغاة جائرينا

وبعد أن آثارت هذهِ القصيدة الحماسية الرائعة مشاعر الســـامعين وعلى آثرها قامت سلطات الأحتلال البريطاني بإلقاء القبض على الأديب «عيسى عبد القادر الريزلي» في الحال وأبعدتهُ إلى مدينة البصرة في صباح اليوم التالي، فأتخذ الوطنيـــون هذا العمل ذريعـــة لبيان ماتكنهُ نفوسهم نحو الســـلطة المحتلة وقضية البلاد الوطنية . وفي مســـاء تلك الليلـــة من إعتقال الشـــاعر «الريزلي» تنادى أهل مدينة بغداد لإجتماع في جامـــع الحيدر خانة بعد الإفطار، فحضرت المجموعـــات الغاضبة من الأطراف البعيدة، وهم يهزجون وينشـــدون على أنغام الطبول حتى ضاق الجامع وساحتهِ، وأنتشرت جموع الناس خارجهِ وعرقلوا السير في شارع الرشيد[٧٤].

وفي مســـاء يـــوم ٢٥/٥/١٩٢٠ الموافق ٧ رمضـــان ١٣٣٨هـ إتفق المحتشـــدون على القيـــام بالثورة وأن تبـــدأ شرارتها بالكلام . وقام الدكتـــور «محمد مهدي البصير» لُيلهب حماس مســـتمعيهِ الذين غـــص بهم الجامع الثائر جامع الحيدر خانة بخطبة سياســـية ندد فيها بالإنكليز وهاجم سياســـتهم هجوماً عنيفاً وطالب بالإنفراج عن الشـــاعر « عيسى عبد القـــادر الريزلي» الذي أُعتقل في مســـاء ٢٤/٥/١٩٢٠ لأنـــهُ كان قـــد ألقى قبل يوم قصيدة ثورية ملتهبة[٧٥].

بينما قام الشـــاعر «محمد مهدي البصير» في اليوم ذاته بإلقاء خطبة حماســـية في الجامع هاجم فيها الإنكليز هجوماً شـــديداً وأوضح للجمهور ســـبب إعتقال الشاعر «عيسى عبد القادر الريزلي»، وعند إنتهاء الخطبة خرجت

الجموع في مظاهرة كبيرة وحاشدة [٧٦].
وحول هذا الإجتماع التاريخي مساء يوم ٢٥/ آيار/ ١٩٢٠ يصف «ناجي القشـــطيني»بما شاهدهُ بقولهِ «في جامع الحيدر خانة الشهير غص الجامع بالمحتفلين وأمتلأت الشـــوارع من حولـــهِ بخلقٍ لايُحـــصى عددهم يهتفون بســـقوط الإحتلال والأنتـــداب، وقد تصدر الإجتماع الشيخ «يوسف السويدي» و السيد «محمد الصدر»[٧٧]. فأفتتح الإحتفال بآيات من القرآن الكريم وأعقبها المقرىء المعروف الحافظ «عثمـــان الموصلي» بتـــلاوة المنقبة النبوية الشريفـــة وحمس الناس . ثُم تعاقب بعدهُ الخطباء والشـــعراء، وتطور الحفل إلى مظاهرة صاخبة هزّ صداها أرجاء العاصمة بغداد وتعداها إلى سائر الأنحاء العراقية[٧٨].
وفي الليلة ذاتها عندما أصبح الجو مشـــحوناً ببغداد بسبب إعتقال الشاعر «الريزلي» ووفق الخطبة التي ألقاها الشـــاعر «محمد مهدي البصير» في الجامع ضد الإنكليز حرض الناس على العمل بكل قوة على إطلاق سراح الشاعر المُعتقل . لذا هاج مـــن في الجامع وأندفعت من بين أروقتهِ مظاهـــرة صاخبة[٧٩]. ولكن لم يقف المستعمر البريطاني مكتوف الأيدي أمام هذهِ الوقفة الجماهيرية التي إنطلقت من جامع الحيدر خانة، فقاموا بإرســـال سيارة مسلحة مصفحة لتشـــتيت المجتمعين وفض الإجتماع فأعترضتها الجماهير وأستخفت بها وهاجمها رجل إشتد الحماس عندهُ بمطرقة نجارية . فتحركت الســـيارة نحوهُ ودهستهُ، وأنزفت دمهُ تحت عجلاتها، وعلى آثرها نُقل إلى المستشـــفى المجيدية « المستشفى الجمهوري حالياً» ولكن أستشـــهد بعـــد منتصف الليل النجـــار المعروف بـ «النجـــار الأخرس» لذا إحتشـــدت الجماهير الثائرة في جامع الحيدر خانة وشارع الرشـــيد والمحلة وبعد أن ألقى الخطبـــاء خطب الحماســـة والتنديد بفعلة الإنكليز الشـــنعاء ومع قراءة سورة الفاتحة على روح الشـــهيد الأخرس إختارت حشود الجماهير من بينهم لجنة مؤلفة من خمســـة عشر رجلاً ذا شـــخصية وطنية لأجل القيام بأطلاق سراح الشاعر «الريزلي»، وفي إجتماع جامع الحيدر خانـــة ذاك دعا أحد الخطباء الأحرار جماهير بغـــداد إلى تعطيل الأعمال والأضراب والمطالبة بأطلاق سراح الشاعر[٨٠].
وما أن بدأ تشـــييع جنازة «شـــهيد الوطن «النجارالأخرس بعد صـــلاة الظهر بموكب تعـــدى الثلاثـــة الآف شـــخص، تحف بهم الرايات والهتافات والأناشـــيد الحماســـية وأهازيج مهيجة تدعـــو للأخذ بالثأر. ولكن لم تتدخل قوات الإحتلال البريطاني في شأن هذا التشييع ولم تعترض سبيله، إلاّ إن حاكم بغداد العســـكري حملتهُ ســـيارة للإنتقال إلى مكان التجمع لمشـــاهدة التشـــييع فبعث هذا العمل مظاهر النقمـــة، فأطلق مرافقهُ الرصاص من بندقيـــة على الجمهور، فتفرق الجمـــع وإحتمى بعضهـــم في الجامع حتى الصباح[٨١].
وبعد التشـــييع ودفن الشـــهيد الأخرس في مقبرة الشيخ معروف الكرخي قامت حكومة الأستعمار البريطاني بأستدعاء الشيخ محمد مهدي البصير وحملتهُ مع ثلاثة من الزعماء الوطنيين مســـؤولية المظاهرتـــين وأعمال

العنف، لكن ضغط بعض الشـــخصيات في العاصمة بغـــداد أرغمت الإحتلال على إطلاق سراح المعتقلين والتغاضي عن العقاب الصارم بهم[٨٢].

وقُبيـــل الثورة الكـــبرى إغتنـــم الوطنيون العراقيون مناسبة دينية وحشدوا جمعاً كبيراً من أبناء الشـــعب في الجامع ألقى فيهِ الشيخ البصير قصيدة ثورية كان مطلعها[٨٣]:

إن ضاق ياوطني عليّ فضاكا
فلتتسع بيّ للأمام خطاكا
أجرى ثراك دمي فأن أنا خنتهُ
فلينبذني إن ثويت ثراكا
بك همت بل بالموتِ دونك في الو
غى روحي فداك متى أكون فداكا
هب لي بربك موته تختارها
ياموطني أو لست من أبناكا

وكان للشيخ «محمد مهدي البصير» نشاطات فعالـــة ومســـاهمات غير مذكـــورة في ثورة العشرين الخالدة . فقد كان مُحرراً في جريدة «الإســـتقلال» وكانت هذهِ الجريدة مخصصة لساحات وإسهامات وفعاليات الثورة والثوار . وقد حُكم الشيخ البصير مع إثنين من محرريها أمام حاكم بريطاني منفرد قررّ حبسهم مدة نصف عام مع تعطيل جريدة الإستقلال. وفي يوم ١٩٢٠/٨/٢٦ صدر أمـــر من المندوب الســـامي البريطاني بأن ينفي الشيخ «محمد مهدي البصير» وســـتة آخرون من رفاقهِ إلى جزيرة «هنجام» «الواقعة في الخليج العربي» لغاية يـــوم ١٩٢٣/٢/١٠ وبعد الإنتهاء من المنفى بُعث الشـــيخ البصـــير إلى «باريس» لإكمال دراستهِ، وعاد إلى بغداد لُيعين أستاذاً في دار المعلمين العالية وأستمر في التدريس إلى أن وافاهُ أجلهُ في يوم ١٩٦٣/٧/١٣[٨٤].

وبالتالي نســـتطيع القول بأن جامع الحيدر خانة شهد العديد من الإعتقالات والمحاصرة وحتى الحظر على دخولهِ مـــن قبل القوات الإنكليزية لكونهُ مركزاً رئيسياً للإنتفاضات التي تنطلق من شـــارع الرشـــيد، ومايميز موقعهُ كونهُ يقع بالقرب من سرايا الحكومة، وقربهُ أيضاً من المقاهي التي كانت ملاذ لأهل الفكر والفن والأدب، كمقهـــى «البرلمان» و «الزهاوي» و «حسن عجمي» ومقهى الحاج «خليل القيسي»، فضلاً عن كون الجامع يقع في محلة ســـكنتها أعرق العوائل البغدادية، وخرجـــت العديد مـــن الرموز السياســـية المعروفة[٨٥].

وبذلك إنطلقت مظاهرة صاخبة في شـــارع الرشيد ومن جامع الحيدر خانة ضد معاهدة «بورت ســـموث» عام ١٩٤٨، وتحولت تلك التظاهـــرات إلى إنتفاضة شـــعبية أطاحت بحكومة «صالح جبر»، وبهذا أُطلق على محلة الحيدر خانة بمحلة الإنتفاضات[٨٦].

ومن الجدير بالذكر إن الشهداء الذين سقطوا في وثبـــة كانون عام ١٩٤٨ تمت مراســـيم تشـــيعهم في جامع الحيدر خانـــة وواكبت التشييع موجة من التظاهرات الصاخبة.

ويظهـــر بوضوح الـــدور القيـــادي المؤثر والمشرف لجامع الحيـــدر خانة هذا الجامع «الثائر» ذي التاريـــخ الزاهي ودورهِ الداعم والمؤثر للحركة الوطنية التي هيأت لثورة عام ١٩٢٠ والإنتفاضات والمظاهرات الشـــعبية الآخرى في شـــارع الرشيد التي أعقبتها مثل وثبة كانون عام ١٩٤٨ وغيرها .

●الخاتمة:

تُعد الجوامع منـــبراً تاريخياً وآثرياً إلى جانب كونها منبراً دينياً ومكان لنشر روح التسامح وأفكار المواطنة . فإن تأســـيس جامع الحيدر خانة ثُم المدرســـة التي لحقت بهِ آثر كبير في نشر الوعي، وبـــث النهضة الدينية والفكرية، ولـــم تقتصر أهميتهِ على النطـــاق المحلي، بل وصلت إشعاعاتها إلى مناطق عديدة من البلاد العربية والإسلامية.

وقد برزت أهمية هذا الجامـــع بالإضافة إلى التاريخية إنهُ مركزاً يتم فيهِ إقامة الإحتفالات الدينية والمهرجانات السياسية، التي إنطلقت من ساحتهِ المظاهرات الوطنية إبتداءاً من عام ١٩٢٠ وهي ثورة العشريـــن ومالحقتها من إنتفاضات وتظاهرات شعبية في شارع الرشيد مثل وثبة كانون عام ١٩٤٨.

لذا ينبغي الإهتمام بالمعالم التاريخية التي تم إنشائها في مدينة بغداد، ومنها جامع الحيدر خانة الذي لابد مـــن إعادة هذا الصرح الثقافي الكبير للوجود لكي يؤدي دورهُ لخدمة الدين والعلم والحضارة .

●الهوامش:

(١)الدهاس، ســـندس، جامع الحيدر خانة في شارع الرشيد، جريدة الدســـتور، بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٩، ص٢٠، الآلوسي، ســـالم، شارع الرشـــيد في الذاكرة العراقية، ص٤٥ـ٤٦.

(٢)المنتظم، ج١٠، ص٢٧٢.

(٣)الزبيدي، جميل، تاريخ تأســـيس جامع الحيدر خانة ببغداد/جريدة المشرق، بتاريخ ٢٠١٢/٦/٦، ص٧.

(٤)هو الحســـن بن يوســـف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن إســـحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هـــارون بن محمد بن عبدالله بـــن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب « ٥٦٦ـ ٥٧٥هـ»، الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز «ت٧٤٨هـ»، ســـير أعلام النبلاء، لبنان، ٢٠٠٤، ص٤٦٤٨.

(٥)تـــاج الدين أبي طالب علي بـــن منجب البغدادي «ت٦٧٤هـ»، نســـاء الخلفاء المســـمى جهات الأئمة الخلفـــاء من الحرائر والإمـــاء، تحقيق، د. مصطفى جواد، ذخائر العـــرب «٢٨»، دار المعـــارف للطبع والنشر والتزيع، مـــصر ـ القاهرة، بلا تاريخ، هامش ٦، ص١١٤.

(٦)الراوي، محمد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، تحقيق، عماد عبد الســـلام، طبع على نفقة وزارة الثقافة لمشروع بغـــداد عاصمة الثقافة العربية، ٢٠١٣، دار الكتـــب العلمية، الطبعة الأولى، ص٢٤٥.

(٧)الزبيدي، جميل، تأريخ تأســـيس جامع الحيدر خانة، جريدة المشرق، بتاريخ، ٢٠١٢/٦/٦، ص٧.

(٨)المصدر نفسه.

(٩)التميمي، حسين حســـن، جامع الحيدر خانة من ملامح شارع الرشـــيد المهمة، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الثاني، ربيع ١٩٨٨، ص٦٩.

(١٠)الراوي، محمد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص٢٤٥ـ ٢٤٧.

(١١)التميمي، جامع الحيدر خانة من ملامح شارع الرشيد المهمة، ص٦٩.

(١٢)الراوي، محمد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص٢٤٧.

(١٣)التميمي، جامع الحيدر خانة من ملامح شارع الرشيد المهمة، ص٦٩.

(١٤)الراوي، محمد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، ص٢٤٧.

(١٥)جامع الحيدر خانة، ص٦٩ـ ٧٠.

(١٦)المصدر نفسه .

(١٧)المصدر نفسه.

(١٨)الراوي، خير الزاد في تاريخ مســـاجد وجوامع بغداد، ص٢٤٧.

(١٩)المصدر نفسه .
(٢٠)المصدر نفسه، ص٢٤٤.
(٢١)سلمان، عيسى، وآخرين، العمارات العربية الأسلامية في العراق، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ج١، ص٢٥٢.
(٢٢)عز الدين، يوسف، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، منشورات دار البصري، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧، ص٣٨ ـ ٣٩.
(٢٣) نوار، عبد العزيز سليمان، داود باشا والي بغداد، ص٣٠٠.
(٢٤)القيسي، معن فيصل، جامع الحيدر خانة، دار الآداب للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٨، ص٤٠ـ ٤١.
(٢٥) المصدر نفسه .
(٢٦)سلمان، عيسى، العمارات العربية الأسلامية في العراق، ص٢٥٩.
(٢٧)المصدر نفسه.
(٢٨)المصدر نفسه.
(٢٩)المصدر نفسه، ص٢٦٣.
(٣٠)الدهاس، سندس، جامع الحيدر خانة في شارع الرشيد، جريدة الدستور، بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٩، ص٢٠.
(٣١)القيسي، جامع الحيدر خانة، ص٥٨.
(٣٢) المصدر نفسه .
(٣٣) الزبيدي، تأريخ تأسيس جامع الحيدر خانة، جريدة المشرق، ص٧.
(٣٤) الآلوسي، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، تهذيب، محمد بهجت الآثري، مطبعة دار السلام، بغداد ، ١٣٤٦هـ، ص٣٢.
(٣٥)المصدر نفسه ، ص٣٣.
(٣٦)التميمي، جامع الحيدر خانة، ص٧٠.، الجبوري، عبدالله، مكتبة الأوقاف العامة تاريخها نوادرها، طبع المعارف، ط١، بغداد، ١٩٦٩، ص٧٥.
(٣٧)عبادة، عبد الحميد، العقد اللامع بأثار بغداد والمساجد والجوامع، تحقيق، عماد عبد السلام رؤوف، ط١، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ٢٠٠٤، ص٢٤٩.
(٣٨)القيسي، جامع الحيدر خانة، ص٤٧ ـ ٤٨.، الكيلاني، ميعاد شرف الدين، تاريخ تكايا بغداد والمشيخة الصوفية في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤، ص١٧٣.
(٣٩)الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، ج٤، ص٩٢.
(٤٠)الدروبي، أبراهيم عبد الغني، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٨، ص١١٠.
(٤١) الزبيدي، تاريخ تأسيس جامع الحيدر خانة، ص٧.
(٤٢)السامرائي، يونس الشيخ أبراهيم، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، مطبعة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٢، ص١١٣.
(٤٣)السامرائي، تاريخ علماء بغداد، ص ١٢٨.
(٤٤) الزبيدي، تاريخ تاسيس جامع الحيدر خانة، ص٧.
(٤٥) الآلوسي، سالم، شارع الرشيد في الذاكرة العراقية، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ٢٠١٣، ص٤٦.
(٤٦) الجبوري، مكتبة الأوقاف العامة تاريخها ونوادرها، ص٧٤.
(٤٧)يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص١٥٧.
(٤٨)الجواري، أحمد عبد الستار، تاريخ مساجد بغداد الحديثة، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٠، ص٢٦٩.
(٤٩) الجميلي، راسم، البغداديون، طبعة ثانية، طبع إتحاد الناشرين العراقيين، بغداد، ٢٠١٣، ص١٦٠.
(٥٠)القيسي، جامع الحيدر خانة وأثرهُ في الحركة الوطنية العراقية، ص١٠١.
(٥١) المصدر نفسه ، ص١٠٢.
(٥٢)المصدر نفسه .
(٥٣)الجميلي، البغداديون، ص١٠٣.
(٥٤)العبطة، محمود، الفلكلور في بغداد، مطبعة الأسواق التجارية، بغداد، ١٩٦٣، ص٩٩.
(٥٥)القيسي، جامع الحيدر خانة وآثره في الحركة الوطنية العراقية، ص١٠٥ـ ١٠٦.
(٥٦)المصدر نفسه، ص١٠٦ـ ١٠٧.
(٥٧)المصدر نفسه . ١٠٧.

(٥٨) الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ط٣، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٩٧٢، ص٦١.
(٥٩)الدراجي، عبد الرزاق، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص٨٥.
(٦٠)المظفر، كاظم، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٢، ص١٦٦.
(٦١)جميل، حسين، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ـ ١٩٣٠، طبع إتحاد الناشرين العراقيين، بغداد، ٢٠١٣، ص٥١.
(٦٢) العكام، عبد الأمير هادي، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ـ ١٩٣٣، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٥، ص٣٦.
(٦٣)الملاح، عبد الغني، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص١٤.
(٦٤) المظفر، كاظم، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، ص١٣٨.
(٦٥) التميمي، جامع الحيدر خانة، ص٧١.
(٦٦)المصدر نفسه .
(٦٧) المبارك، عبد الحسين، ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي، ط١، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٧٠، ص٧٩.
(٦٨)التميمي، جامع الحيدر خانة، ص٧٣.
(٦٩)الزبيدي، تاريخ تأسيس جامع الحيدر خانة، ص٧.
(٧٠)التميمي، جامع الحيدر خانة، ص٧٣.
(٧١)العكام، الحركة الوطنية في العراق، ص٨٢ـ ٨٣.
(٧٢)الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ط١، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٢، ص١٢١.
(٧٣) العباسي، خضر، شعراء الثورة العراقية أثناء الإحتلال البريطاني للعراق، دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٧، ص١٤.
(٧٤)التميمي، جامع الحيدر خانة، ص٧١.
(٧٥)المصدر نفسه.
(٧٦)الزبيدي، محمد حسين، السياسيون العراقيون المفنيون إلى جزيرة هنجام ١٩٢٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥، ص٩٧.
(٧٧)القشطيني، محمد ناجي، اللهفات، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٨، ص٢٥٦.
(٧٨) العبطة، محمد، عثمان الموصلي في بغداد، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٣، ص٣٠.
(٧٩)التميمي، جامع الحيدر خانة، ص٧٤.
(٨٠)المصدر نفسه، ص٧١ـ ٧٢.
(٨١)المصدر نفسه، ص٧٢.
(٨٢)المصدر نفسه، ص٧٤.
(٨٣)المصدر نفسه.
(٨٤)المصدر نفسه، ص٧٥.
(٨٥) مجلة وجامع الحيدر خانة مهد إنتفاضات ورموز، مجلة كاردينيا، بتاريخ، الأثنين ١٦/ حزيران/ ٢٠١٤.
(٨٦) المصدر نفسه .

●المصادر

أولاً: الكتب

-الآلوسي، سالم، شارع الرشيد في الذاكرة العراقية، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ٢٠١٣.
- الجبوري، عبدالله، مكتبة الأوقاف العامة تاريخها نوادرها، طبع المعارف، ط١، بغداد، ١٩٦٩.
- جميل، حسين، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ـ ١٩٣٠، طبع إتحاد الناشرين العراقيين، بغداد، ٢٠١٣.
-الجميلي، راسم، البغداديون، طبعة ثانية، طبع إتحاد الناشرين العراقيين، بغداد، ٢٠
- الجواري، أحمد عبد الستار، تاريخ مساجد بغداد الحديثة، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٠.
-ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد ـ الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ ـ ١٣٥٦
-الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ط٣، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٩٧٢.
- الدراجي، عبد الرزاق، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

-الدروبي، أبراهيم عبد الغني، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٨ .
- الراوي، محمد سعيد، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، تحقيق، عماد عبد السلام، طبع على نفقة وزارة الثقافة لمشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ٢٠١٣، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى .
- الزبيدي، محمد حسين، السياسيون العراقيون المفنيون إلى جزيرة هنجام ١٩٢٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت .
-السامرائي، يونس الشيخ أبراهيم، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، مطبعة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٢.
- ابن الساعي، تاج الدين أبي طالب علي بن منجب البغدادي «ت٦٧٤هـ»، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق، د. مصطفى جواد، ذخائر العرب «٢٨»، دار المعارف للطبع والنشر والتزيع، مصر ـ القاهرة، بلا تاريخ .
-سلمان، عيسى، وآخرين، العمارات العربية الأسلامية في العراق، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.
-العباسي، خضر، شعراء الثورة العراقية أثناء الإحتلال البريطاني للعراق، دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٧.
- عبادة، عبد الحميد، العقد اللامع بأثار بغداد والمساجد والجوامع، تحقيق، عماد عبد السلام رؤوف، ط١، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ٢٠٠٤.
-العبطة، محمد، عثمان الموصلي في بغداد، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٣
-عز الدين، يوسف، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، منشورات دار البصري، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧.
- العكام، عبد الأمير هادي، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ـ ١٩٣٣، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٥.
- الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ط١، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٢.
- القشطيني، محمد ناجي، اللهفات، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٨.
-القيسي، معن فيصل، جامع الحيدر خانة، دار الآداب للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٨.
-الكيلاني، ميعاد شرف الدين، تاريخ تكايا بغداد والمشيخة الصوفية في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤ .
-المبارك، عبد الحسين، ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي، ط١، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٧٠.
-المظفر، كاظم، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٢.
-الملاح، عبد الغني، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥.
- نوار، عبد العزيز سليمان، داود باشا والي بغداد.
-يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.

ثانياً: المجلات

-التميمي، حسين حسن، جامع الحيدر خانة من ملامح شارع الرشيد المهمة، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الثاني، ربيع ١٩٨٨.
-مجلة وجامع الحيدر خانة مهد إنتفاضات ورموز، مجلة كاردينيا، بتاريخ، الأثنين ١٦/حزيران/٢٠١٤.

ثالثاً: الصحف

-الزبيدي، جميل، تأريخ تأسيس جامع الحيدر خانة، جريدة المشرق، بتاريخ، ٢٠١٢/٦/٦.
-الدهاس، سندس، جامع الحيدر خانة في شارع الرشيد، جريدة الدستور، بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٩.

One of the historical landmarks of Rasheed Street Al-Haidar Khanna Mosque and its influence on the Iraqi national movement

By: Assist. Prof. Dr. Kamal Rashid Khamas Al-Aqili
Center of revival of Arabic science Heritage/ University of Baghdad

Abstract

This research deals with the discussion of Al-Haidar Khanna mosque, as it represents one of the most prominent features of the construction movement of the Ottoman era in Iraq due to its influential historical role in political events, and because it is one of the important and beautiful Baghdad mosques, which is located on the largest street in Baghdad, its carried various stories, including prosperity and decline, the mosque carried various stories, including prosperity and decline, the researcher touched on a historical overview of the establishment of the mosque, then described its contents and the constructions that were made on it, then spoke about the mosque's religious, cultural and social activities.